خلاصة الشعر

صباح القس/ بغداد Sabah_ alkass@yahoo.com

يا أهل أندلس لله دركم
ماء وظل وأشجار وأنهار
ما جنة الخلد إلا في دياركم
ولو خُيرتْ هذي كنت أختار

هذان البيتان للشاعر المعروف ابن خفاجة الاندلسي واسمه ابراهيم وكنيته أبو اسحق.

وما عرف عنه انه لم يلتزم اميرا او قائدا او خليفة بل عاش طليقا لذلك لم يتقلد المناصب التي كان يطمح اليها غيره من الشعراء، بل كان هو مطلب الأمراء والقواد.

لقد كان همه الإنجذاب الى الطبيعة ومفاتنها فكان يصف كل ما تراه عينيه ويعجب به.

وهو دائم البحث عن اللذة الحسية اينما وجدت، فكانت شغله الشاغل فهنَ يردنه وهو يريدهنَ.

وبين الوصف والغزل لا بد من الكأس ومستلزماتها من مجالس الطرب والموسيقى والغناء. وهكذا دارت الأيام على شاعرنا حتى أتاه الحق وهو على هذا المنوال.

بلاد الاندلس "اسبانيا حاليا" جنة الله على الارض كما يصفها الشعراء العرب الذين عاشوا في تلك الفترة، فيصفونها بوفرة المياه والأشجار. فاذا توفرت المياه والأشجار لبست الطبيعة الوانها الزاهية وانتشرت الحدائق وتكاثرت الأزهار وغردت البلابل والأطيار، وهذا كله يؤدي الى صفاء النفوس وترقق العواطف وهذا بدوره يؤثر في اختيار الألفاظ المناسبة والمحسنات البديعية والمعنوية التي تلائم مثل هذه الأجواء.

وشاعر بمستوى ابن خفاجة أغوته الطبيعة فإنساق اليها بكل حواسه النفسية والجسدية فأعطاها صورا بديعة وأعطته متعة رفيعة. ولم يكن يعنى بالأفكار والمعاني الفلسفية والحكم والأمثال.

في هذين البيتين يخاطب أهل الأندلس وهو منهم فيحسدهم على هذه الطبيعة التي كان يحلم بها عرب الصحراء، ففيها الماء والظل والأشجار والأنهار.

فهي جنة الخلد ولو خُيَر الشاعر بأية بقعة من ارض الله الواسعة وهذه البقعة فأنه سيختار هذه الأرض وهي بلاد الأندلس، والتي يسميها المؤرخون "الفردوس المفقود".

وبالنسبة للشاعر فهي جنة الله على الأرض ففيها من مواصفات الجنة الشيء الكثير، ففيها الماء والظل والأشجار والأنهار والنساء والخمر والغناء ولا أظنه كان يبحث عن جنة توفر له أكثر من هذا.

شاعر عراقي مقيم في سويسرا ينشر شعر بلاده ويؤرخ تاريخ وطن ينزف

بهراء متابعات

لعل قصيدة "ظل العنكبوت" التي يفتتح بها الشاعر العراقي عبد الرزاق الربيعي ديوانه الجديد تلخص المشهد الإنساني في بلد هو الأكثر تعرضا للانقلابات والانقلابات المضادة والحروب والحصار في العالم العربي خلال ٥٠ عاما. تقول القصيدة "في بلاد نسج الخوف على الأعين ظل العنكبوت- لم نعد نبكي على من مات- بل من سيموت". ويحمل الديوان عنوان "خذ الحكمة من سيدوري" وسيدوري هي آلهة النبيذ أو صاحبة الحانة التي نصحت جلجامش بالاستمتاع بما تبقى له من حياة حين سألها عن سر خلود البشر بدلا من موتهم العبثي في سيرته الشهيرة التي تعد أقدم ملحمة مكتوبة في تاريخ البشرية. وفي الديوان تتداخل الأزمنة ويتوارى اليقين حيث يحاول الشاعر كما أشار الناقد العراقي ضياء خضير في كلمة الغلاف الأخير أن يجد منفذا لضوئه العراقي المحاصر "منذ سنوات أو منذ قرون، وهو على طريقة أسلافه ومعاصريه من الشعراء العراقيين المغتربين يجعل من الكلمة الشعرية طريقا وحيدا لتوفير مزيد من المعرفة بالواقع". ويقع الديوان في ١٠٤ صفحات متوسطة القطع وصدر عن "منشورات بابل" التي تمثل جسرا بين مدينتي بغداد وزوريخ حيث يقع المركز الثقافي العربي السويسري وهو مؤسسة ثقافية يديرها الشاعر العراقي المقيم في سويسرا علي الشلاه وتسعى لمد جسور التواصل بين شعراء العالم. وقال الشلاه على هامش مؤتمر عقد هذا الأسبوع بالعاصمة المغربية الرباط بمناسبة مرور خمس سنوات على هجمات ١١ أيلول ٢٠٠١ ان "منشورات بابل" تأسست عام ٢٠٠٤ وصدر منها الى الان ١٢ ديوانا وستصدر في الفترة القادمة دواوين أخرى مترجمة من العربية واليها لتكمل دور "مهرجان المتنبي الشعري العالمي" الذي عقد ست دورات منذ انطلاقه عام ٢٠٠٠ وشارك فيها نحو ٢٠٠ شاعر من ٤٠ دولة. ويبدو الشعر في ديوان الربيعي "٤٥ عاما" كما في غيره من دواوين شعراء آخرين بديلا فنيا لحياة يرونها مستحيلة بل صار الموت نفسه كأنه مستحيل كما في قصيدة يناجي فيها ابن أباه في قبره قائلا: "عندما تسمع دوي الموت يا أبي- وتشاهد الفناء الأحمر يدنو منك- أغلق نافذة قبرك جيدا-أغلق الهواء عليك- لا نريد للدخان أوان يلون بالسواد رئتيك.. عندما تدق القنابل بابك يا أبي- أدر لها ظهر موتك- وعليك بعظامك يا أبي- لملمها قبل وقوع الانفجار.. عظامك العظيمة مهمة لنا يا أبي- انها كل ما تبقى لنا- من نخيل العراق وخصوبة هوائه- وآثاره التي سرقها لصوص حمو رابي". وتحمل القصيدة عنوان "تحت لحية حرب الشوارع في وادي السلام". ويعرف الشاعر في هامش وادي السلام بأنه "أكبر مقبرة في العالم تقع في مدينة النجف ودارت بها معارك عسكرية زمن كتابة النص" الذي لم يحدده. وفي نهاية القصيدة يبدو الابن كأنه يلخص أسباب الاحتلال الاميركي للبلاد منذ التاسع من نيسان ٢٠٠٣ حين تم اسقاط نظام الرئيس السابق صدام حسين فيقول: "وإذا ما اقتربوا من رأس الإمام علي- فلا تجاهد يا أبي- انهم لا يريدون رأسه-انهم يريدون رأس العراق". وفي مأزق يمر به العراق حيث يجد نفسه محتلا في القرن الحادي والعشرين بعد انتهاء حقبة الاستعمار بأكثر من نصف قرن يستدعي الشعراء تاريخا ضاربا في القدم وتصير كلمة "الوطن" جزءا من عناوين القصائد ومتنها أيضا. ففي قصيدة "تجاعيد على وجه الوطن" يقول الشاعر ان العراق ولد قبل أكثر من ثمانية الاف عام في حين "أميركا التي ولدت بالأمس- تمارس نزق الطفولة- مع شيخ جليل كوطني". ومن بين الإصدارات الأخرى ضمن "منشورات بابل" ديوان الشاعرة وفاء عبد الرازق وعنوانه "نافذة فلتت من جدار البيت" وهو مقسم الى فصول هي "تجليات الباب" و"ذاكرة الصور" و"الرحلة" و"جنون الورق" حيث تقول في قصيدته الاستهلالية "أوراق" التي تعد مدخلا لأكثر من عشرين قصيدة أو لوحة "أغمر- جنين الورق- بوطن".

أسماء مجهولة

عبد المسيح يوحنا فتوحي

في افتراضات العصور
تعتريني تراتيل الأبجدية
المهملة
في سقام العبرات
المتدلية عبر
ركام اقتحمته..
أسراب الجماجم
المغمورة في ديباجات
موحلة..
أزاحتها مساحات اللهاث
خلف ترنيمة..
التهمت
آلاف الأسماء المستعارة
وهي تجهش من العناء
عبر صيرورات مضرجة
تطارد صرخات الجماجم
المضمخة..
في تخوم سميل
هنالك تقيأت زنابق
المجرة..
عواصف انصهرت
في انعكاسات المرايا
حيث تفتنني آلاف
الأسماء
المذابة في مساحات
الصهيل
حين ينتحر الصدى..
في أحشاء سميل.

ذاكرة الأيام

عن الحرب والموت والشعر في استذكار الصديق الراحل منصور وديع زهرة

شاكر سيفو

الموت أعتى السلاطين.. العراقيون يموتون لا كما يحلو لهم، وهل أستعرض لكم كيف نموت يوميا؟، رغم اننا أحياء، نلبس ونأكل ونشرب وننام ونمارس كل طقوسنا في النهار وفي الليل أيضا!، العراقيون أعتى من الموت، الموت يهرب أمام أقدامهم مثل ثعلب مذعور، لكنه، رغم كل هذا فهو أعتى السلاطين وأخطر الدكتاتوريين منذ بدء الخليقة وحتى هذه اللحظة!، ويقال مات فلان "موت الله" أن هذه العبارة الشفاهية تقودك للفهم بأنه مات بسبب ما، بعيدا عن المفخخات والعبوات والرصاص الطائش.. وهكذا يزور الموت كل مكان، فالموت ليس له مكان، لأنه قد انوجد في كل لحظة وفي كل شبر من أرجاء المعمورة، أي أنه قد انتزع له بنية ميتافيزيقية في أرومة الزمكان، ومنها الى منطقة الصيد الحرة.. من منكم رأى موتا يطير بأجنحة الملائكة؟. تقول الأمثولة الميثولوجية في طقوسنا التاريخية الحضارية والروحية، أن الرب يرسل الملاك للقبض على روح "فلان" ليأتي بها الى خالقه، ومن ثم ليودع إما الى الفردوس أو الجحيم أو ما بينهما.. من هذه المنطقة أردت ان اعود الى ذكريات قريبة الى قلبي واستحضرت رحيل الصديق المعلم "منصور وديع زهرة" قبل أيام.. ففي عام ١٩٨٠ كانت الحرب الضروس شرقي الوطن قد اشتعل نارها، كنا نحن معشر المعلمين في تمام الحظ، والبخت اللذيذ نتمتع بحريتنا كاملة غير منقوصة، نذهب الى مدارسنا لنلقي بآهاتنا الليلية وما علق بها من كحول ورائحة السكائر الرديئة من ماركات بغداد وسومر "سن طويل وأبو الجيس" أما الديموريه الفرنسي المنشأ، فقد كان غاليا، كنا نستعجل نشتريه نحن المجانين بالشعر والمجونين به وفيه، كنا نستعجل اللذات ومنها لذة الكتابة والمجون والموت في الشعر، نلتهم أجمل الكتب وأغلى النصوص حفريات وتأسيس.

كان الصديق الراحل منصور قد تعهد ان ينقلنا بسيارته اللاندلوفر "قطع صغير" الرصاصية من قره قوش الى العشائر السبع- قضاء عقره، لم أعد أتذكر الأجر الشهري مقابل ايصالنا الى مدارسنا انذاك، كنا خمسة أو ستة أشخاص، ولم أعد أتذكر منهم إلا الصديق الفنان بهنام اسحق والمرشد الزراعي عماد باباوي والسيد أبو رائد الذي حالفه الحظ وخدمته الظروف ليصبح الآن من أثرياء بغديدا، أما الأخ عماد فقد كان قد تعاقد مع دائرة زراعة برده رش على قطعة أرض زراعية واسعة مقابل ان يحفر بئرا في قرية أسماوا، وفعلا تحقق ذلك، وكان يأمل الأخ عماد ان تطول قامة جيويه لكن لم يحالفه الحظ إلا بقدر طيبة قلبه ودماثة أخلاقه، أما أنا فهبطت كما شئت وبكامل قواي العقلية الى جحيم الشعر والمجون والموت من أجل الكلمة، حينها كان الوطن يغلي في مرجل من الآهات، حيث الآلاف من الشباب يغلون في مرجل الحرب الضروس التي لم نعرف بدايتها ولا نهايتها آنذاك، لقد سلبت منا أعز ممتلكاتنا وأكبادنا وأقمارنا، وبدأت الكتابة المضادة، حينها كتبت نصا بعنوان "من فضة الروح الى سماء ثامنة" كنت قرأته ذات أمسية في مهرجان توهدرا، كان نصا يحمل سيميائية كونية ومضامين اشراقية قريبة الى الصوفية والكونية.. وبدأت رحلتنا اليومية مع الأخ منصور بسيارته الرصاصية، تذكرت أحد الأخوة من برطلة، كان يعمل في دائرة زراعة العشائر السبع، قيل أنه مات بمرض السرطان، حينها لم يكن الموت بمرض ما يحمل دلالة شاسعة في عائلة ما، لكن الذي كان يموت في الحرب، كان يحمل دلالة كونية خارج المنطق الطبيعي للموت، لان في موته سعادة مجموعة من البشر التي ستحصل على المال، لكن الذي يموت "بالموت العادي" سيكون نقمة على أهله، وهكذا فصل الموت الابن عن أمه، والكنة عن عمها، و.. و.. وباتت أرقام الفاتنات في روزنامة الترمل تزداد يوما بعد آخر كلما جاءوا بتوابيت جديدة، أحيانا في داخلها رفات وأحيانا اخرى ليس في داخلها سوى قرص هوية، أما قرص الشمس فقد ابتلعته حرب الثمان التي ابتلعت أجمل شباب العراق، ومنهم أجمل أصدقائي الذين أحببتهم حتى نصحت أحدهم بالهروب من الحرب ذات أخبار سابقة لمعركة خاسرة طاحنة قذرة طحنت "اللواء.." بأكمله.. ربما كان ذلك في جزيرة مجنون أو غيرها، يا لها من جنون يوم أصيب الشاعر الصديق خضر زكو حتى أصيب آخرا بآفة من آفات الزمان الدنيء الذي لا نستحقه.. لم نكن قد كتبنا عقدا ما مع الأخ منصور حول آليات نقلنا الى مدارسنا لأننا كنا نعلم ان أستدعاءنا، لا بل سوقنا طبعا كالخراف الى الحرب أمر محتوم حيث كان قد سبق قبلي صديقي الشاعر المهووس بالعالم زهير بردى الى القاطع الجنوبي، أما أنا فقد حالفني الحظ وتأجل سوقي في العام نفسه لأنني قد حصلت على صنف الطبابة في خدمتي الاجبارية، بعد عام أي في ١٩٨١ ساقونا الى القاطع الشمالي وبقيت في قمة جبل بيرس في منطقة دينارته أكثر من ستة أشهر حتى تعرفت الى آمر السرية، كان يقرأ جيدا وقد التقى شعراء عراقيين منهم خزعل الماجدي وفاروق يوسف وزاهر الجيزاني. كان لي في كل أمسية مع آمر السرية "م. آ. فلاح.." معركة كلامية وسجالات حتى آخر ساعات الليل، كنت أحب شعر خزعل والى حد ما بعض نصوص زاهر وسلام وفاروق، لكنني كنت أحتفظ بأخلاق الشعرية الأدونيسية ومغامرتها الكبرى على المشهد الشعري العربي بأكمله.. كنا أنا وآمر السرية نتكلم عن جدوى الحرب ونهايتها ومغزاها ومصيرنا نحن الفقراء وحتى كنا في بعض الليالي نحتسي الخمرة. بدأت رحلتنا اليومية مع الأخ منصور من قره قوش الى برده رش، كنا داخل سيارته الجيب اللاندلوفر مثل دجاج مذعور، حيث كان الأخ الراحل منصور حديث العهد بقيادة السيارة، لم أكن حينها مهتما بدقائق الحياة وساعاتها، كان كل شيء عندي "طززز".. بالحياة "اليوم خمرٌ وغدا أمرٌ"، كانت رحلتنا تبدأ من نقطة الدورة الرئيسية للقائممقامية، أنا والأخ بهنام نقف أمام محل تصليح الثلاجات للسيد الياس منو الذي تعاقد مع بلدية الحمدانية حينها لبناء عمارة حسب مفهوم المساطحة لعشرين سنة قادمة غامضة، لكنها بدت واضحة ومثمرة.. يأتي الأخ منصور بسيارته، وقد نسي مثلا، فيها بيجامته أو أوراقه الامتحانية أو بعض ريش دجاج، وآتي أنا مفخخا برائحة الكحول الليلية، وتبدأ رحلتنا نترك خلفنا مدرسة قره قوش الابتدائية "التغلبية" والتي تتلمذت وتعلمت فيها يوم كانت بظهر كنيسة مار يوحنا البوسني، تعلمت أعظم الدروس في القراءة والحساب ومن ثم الانكليزية والتاريخ والعلوم والجغرافيا، كان مدير مدرستنا الراحل المربي الكبير برنارشيتو والمربون الأفذاذ أنبياء الكلام والكلمة "الراحل حبيب ديزا والراحل صليوا حبش" ومعلم اللغة الانكليزية ميخائيل بتق "الذي صفعني ذات خطأ في عقرب الساعة"، والدؤوب في القسم.. مارزينا حنا شعبو معلم العلوم، والشديد في التعليم والاشارة المعلم مارزينا خضر كرو والرياضي المخضرم عيسى حبيب الذي لا زال يحتكر كرسيه حتى هذه اللحظة، والمربي السياسي الطيب نوح بطرس جميل وأولهم المربي الراحل الياس كرومي اينا الذي كان يلقبني "بالأسد" طبعا في الدرس.. وليس في الغابة.

غادرنا مدرسة التغلبية ومن بعدها محطة التعبئة ودور الحكومة، وآه من كلمة الحكومة كم تبدو قاسية، لا بل هي عاتية وقاسية وأقسى من الأسمنت، بعدها نمر بساحة عريضة طويلة الى الجانب الأيسر للطريق كانت تحتوي على مجموعة من الغرف تستخدم لاتحاد الشباب آنذاك، وأتذكر جيدا كيف تألق في هذه الساحة الفنان المبدع سمير يعقوب ومجاميع من الممثلين والممثلات حينما في أمسية خريفية قدموا نصا مسرحيا لي بعنوان "أبدا تحيا الأشجار"، وهكذا تأخذنا الرحلة عبر مستشفى الحمدانية، ومن بعدها معسكر للتدريب والمنشآت الكهربائية وساحة الغاز لبيت آل اسطيفو ومن ثم ساحة للغسل والتشحيم وقد عنون صاحبها الساحة بـ "غسل وتشحيم العراق"!، كلما مررنا بها قرأتها جيدا، وأرى فيها منظومة لغوية تقع على نسق الانزياح، ومن ثم نمر بأعرق قرية آشورية وهي "كوكاميلا" وتعرف بـ "كرمليس" وعلى حافة الطريق الرئيس دير القديسة بربارا الذي يرقد بسلام وأمان في حضن مرصد آشوري قديم لأحد الملوك الآشوريين، ثم نتقدم باتجاه المفرق الذي يقسم الطريق الى اتجاهين: الى اليمين نحو أربيل والى اليسار نحو الموصل مرورا ببرطلة، أما نحن فننحرف قليلا الى قرية خزنة ومنها الى قرى عديدة مزروعة على جانبي الطريق مرورا بقرية تيس خراب، ومن ثم مفرق ناحية بعشيقة المشهورة بعرقها اللذيذ "القجغ" وبساتين الزيتون ومعامل الراشي والصابون، ثم تأخذنا الطريق ببريق اسفلتها في الشتاء والربيع داخل سيارة الأخ منصور لنمر بمفرق دير الشيخ مار متى ثم قرى اخرى عديدة لنصل الى جسر الكانيلان، حتى قرية شيوره وهناك كنت أحط انا لتبدأ رحلتي مع سيارات اخرى الى مدرستي جوجر كبير، بينما أصدقائي ربما قد دخلوا صفوفهم في مدرسة برده رش.

حوار حول جدل العلاقة بين المثقف والسلطة/ الجزء الثالث والأخير

صفاء ذياب- بغداد

حرية الأديب.. سلطة الدولة

ومن أجل إيجاد علاقة جمالية وتلقائية بين المثقف والسلطة، يرى باسم الأنصار ان الحرية هي أساس هذه العلاقة، فإذا لم توجد هذه الحرية انهدمت كل المعايير والسدود التي يمكن ان تحد من سخط المثقف والأديب تجاه الدولة:

من البديهي القول، ان الركيزة الأهم للابداع هي ركيزة أو اشتراط الحرية. فمن دون هذه الركيزة يكون الابداع في كل مستويات الابداع المعروفة وبالأخص المستوى الأدبي منه، ناقصا ومجردا ومشوها أحيانا كثيرة. لذا كيف سيكون شكل العلاقة بين المثقف ككائن إبداعي حر وبين الدولة كمؤسسة ترتكز على السلطة؟، فالمثقف من جهة يسعى الى الانفلات من كل أنواع السلطات للحفاظ على توهجه الجمالي والابداعي، ومن جهة اخرى الدولة تسعى الى فرض كل انواع سلطاتها على المجتمع بما فيه المثقف لكي تضمن عملية استمرارها وديمومتها لتنظيم امور المجتمع بكافة جوانبه.

وكل طرف من طرفي المعادلة "المثقف والدولة" يسعى باتجاه شرط ديمومته الذي لا يود التنازل عنه لكي يضمن ديمومته كما اشرنا "الحرية/ الشرط الاساس للمثقف" و"السلطة/ الشرط الاساس للدولة". ومن المعروف أو من ضمن ما هو متوارث في أذهاننا المكوّنة في ظل ديكتاتوريات متعددة ومختلفة مقيتة بأن العلاقة بين السلطة والحرية علاقة عكسية إنْ لم تكن علاقة متنافرة الى حد الصراع بينهما أو النفي من قبل احدهما للاخر. لذا كيف ستنشأ العلاقة بين أطراف لا تود التنازل عن رمزها وسر ديمومتها في الحياة؟.

أظن انه وقبل أن نطرح أجابتنا أو تصورنا لخلق هذه العلاقة، علينا ان نعيد قراءة مفهوم الحرية المنشودة لدى المثقف، ومفهوم السلطة لدى الدولة. او بشكل اخر علينا قراءة صورة المثقف في الحياة ودور الدولة في المجتمع. أظن ان الوصول الى قراءة جديدة لهذه الامور ستحل الكثير من الاشكاليات القائمة بين المثقف والدولة، وخصوصا اننا نتحدث عن علاقة بين طرفين "كما اشرت" مكانهما الجغرافي الذي يجمعهما رضخ لديكتاتوريات سياسية واجتماعية وثقافية مستبدة ومتكررة بشكل جعل الوعي الجمعي لمجتمعاتنا تصعب ان تفرق بين الدولة والديكتاتورية، او بين المثقف والرضوخ لرموز هذه الدولة الديكتاتورية.

والان!، وبعد الهزة الكبيرة التي اجتاحت المجتمع العراقي بكل مفاصله بعد سقوط النظام الديكتاتوري الذي هيأ كل الظروف والمناخات لبروز الظواهر السيئة اكثر من بروز الظواهر الايجابية، وبعد ان هام في فضاء العراق هامشا لا بأس به من الحرية السياسية، ولكن للاسف على حساب الحرية الاجتماعية والثقافية للمثقف خصوصا، اظن بأنه علينا اعادة قراءة مفاهيم الدولة والمثقف واعادة قراءة شكل العلاقة بينهما كما اسلفت قبل قليل، بعقلية جديدة وذهنية مغايرة تناسب الوضع الجديد الذي حل في العراق منذ ثلاث سنوات.

أرى ان دور الدولة يجب ان يكون راعيا وحاميا فقط للمثقف، بعيدا عن اسقاط محمولها الايديولوجي أيا كان شكل هذا المحمول عليه. وعلى المثقف ان يسعى باتجاه الحفاظ على استقلاليته وحريته بأقصى حدود السعي والاستطاعة، بعيدا عن كل أشكال السلطات المحاط بها، سواء كان شكل السلطات سياسيا او اجتماعيا او ثقافيا.

بمعنى اخر، على الدولة ان تمارس دورها الطبيعي والتقليدي مع المثقف في حمايته من الشرائح الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تتعارض مع الطرح الجمالي والفكري له، أيا كانت سلطتها او تأثيرها في المجتمع ومن دون ان تطالب المثقف بأي مقابل لهذه الحماية او الرعاية "كأن يكون هذا الدور ترويجيا من قبل المثقف لايديولوجية الدولة او ما شابه ذلك" على اعتبار ان الدولة هي موظف لدى المجتمع وليس العكس. فيجب ان تمارس الدولة دور الخادم للمجتمع "وللمثقف طبعا" لا أن تمارس دور المتسلط والديكتاتور معه، على اعتبار ان الخدمات المقدمة من قبل الدولة للمثقف هي جزء من واجباتها الطبيعية اتجاهه وجزء من حقوقه المشروعة التي يجب ان يتمتع بها هو والمجتمع بأكمله.

اما بشأن المثقف، فإنني ارى بأنه عليه ان لا يساير أية موجة سياسية او اجتماعية تتعارض مع حريته واستقلاليته بحجة عدم التعالي عليها او بحجة الخوف منها او بحجج أخرى مرضية كان المثقف لازمنة مختلفة في مجتمعاتنا يروج لها مع نفسه على الاقل للحفاظ على مصالحه الحياتية اليومية فقط على حساب رؤاه الجمالية ومواقفه الاخلاقية والمبدئية. على المثقف ان لا يقع بفخ المسايرة مع الظواهر المتعارضة مع حريته ايضا لكي لا يساهم في اعلاء صروح الطغاة، أيا كان شكل الطغاة سواء كان شكلهم سياسيا او ثقافيا او اجتماعيا. على المثقف ان يفكر بشيء واحد فقط لا غير، ألا وهو طرح منجزه الجمالي بحرية مطلقة وواعية. وأقصد بمطلقية حريته هي انفلاتها من كل سلطة خارجية قد تمارس عليه، واقصد بوعيها هو الحفاظ على سلطته الجمالية والفكرية والمعرفية الموجودة في داخله والحفاظ على دورها في انارة رؤاه وتصوراته عن الجمال وعن المجتمع الذي يعيش فيه وعن كيفية تعامله مع الحدود التي ترسمها الدولة والمجتمع معا له وللاطراف كافة.

أي ان حرية المثقف ستكون تلقائيا ومن دون اجبار من قبل الدولة عاملا مهما ومساعدا لاستقرار الدولة وديمومتها.

من هنا سينشأ كما أرى شكل علاقة جديدة بين الدولة وبين المثقف. بحيث تكون سلطة الدولة اخلاقية وخدمية وليست سلطة قمعية ومستبدة مع المثقف، وبالمقابل ستكون حرية المثقف منارا جماليا واخلاقيا ايجابيا للدولة من دون اتفاق مسبق بينهما ومن دون قصدية الترويج لها.

الفردانية، الوحيد، غير المؤثر

* يرى الكاتب المسرحي علي عبد النبي الزيدي ان الثقافة (هي تراكم كمي يمكن له ان يكون فاعلا ومؤثرا في حياة الشعوب، على اعتبار ان هذه الثقافة أصلا قد خرجت من معطف هموم وتقاليد وقضايا تلك الشعوب. ومن هنا نستطيع ان ندلف بقوة إلى واقع المثقف العراقي ونحدد تلك "الثقافة" التي يرفع لواءها المثقفون العراقيون. فإذا كانت الثقافة العراقية تشير بوضوح إلى تراكم كمي أنتجته سلطة البعث- وهو واقع يحتم علينا ان نقرأ ثقافة تلك السلطة، فإن المثقف العراقي كان احد منتجي تلك الثقافة، على اعتبار ان المؤسسة الرسمية عندنا هي التي كانت تقود حركة الثقافة العراقية بشكل أو بآخر، وقد صار لدينا جيش يسير بهمة عالية وراء مخططات تلك المؤسسات، وحالوا بطريقة وبأخرى صنع حياة مغايرة لما هو سائد من خلال وضع الزخارف والديكورات والماكياج لسلطة البعث. والمشكل- هنا- يوقفنا أمام ٩٨% من مثقفي العراق على مدى أكثر من أربعين عاما).. وفي معرض ذلك يتساءل: (إذن كيف لنا ان نقوم حركة المثقف العراقي الآن وهو الصانع لثقافة القتل والتضليل والتجميل، وهذا هو صلب أزمة الواقع العراقي. حركة الثقافة عندنا حركة مشكوك فيها على طول الخط، وهناك جدار طويل عريض سميك بين المثقف والناس. من هذا فان مسؤولية المثقف "الملتزم"- ٢%- تواجه الكثير من الصعوبات خاصة مع اختلاط الملتزم بجيش كامل من غير الملتزمين الذين يحاولون بشتى الصور ان يعلنوا أنهم كانوا أبطالا في زمن القهر. أرى وبقوة ان المثقف العراقي الآن، واعني الملتزم يعيش فردانية مطبقة ووحدانية غير مؤثرة في حياة الناس، والتي أنتجت ثقافة المقاهي التي تميل إلى التصريحات والصخب والثرثرة، وبالنتيجة هناك تسيد واضح لثقافات فرضت نفسها بقوة السلاح والصراخ، جعلت من ساحة الثقافة عندنا مجموعة من الثقافات المتصارعة والمتخلفة في آن. لذلك فان حجم المثقف العراقي اصغر بكثير من التحول الحاصل في بنية المجتمع العراقي).

المثقف العضوي والمثقف التقليدي

* طارقا سؤالا يعده الأهم من بين الأسئلة، يشير القاص حسن عبد الرزاق إلى انه لم يظهر لدينا مثقف بالمعنى الدقيق للمصطلح، متسائلا بدوره: "هل أنجب العراق شخصية أنتجت فكرا خلخل ما هو سائد من بنى فكرية تأسست عليها منظومة القيم والتقاليد والسلوكيات المكتسبة لطابع الثبات منذ عصر القيلولة؟".. مجيبا عن التساؤل بالاستطراد التالي: (في العراق قد يوجد مثقفون تقليديون حسب وصف غرامشي، لكن المثقفين العضويين لا وجود لهم على امتداد التاريخ.. ثمة عوامل تقع خارج العقم العقلي هي التي قادت إلى هذا الأمر لعل في مقدمتها الهيمنة الجبارة للمؤسستين السياسية والدينية على امتداد تاريخ العراق. فهاتان المؤسستان مارستا أساليب تضييق فضاء الحرية وتبعية العقل المستمر لها والتهديم الذاتي للشخصية من خلال ممارسة الإغراء المادي والإرهاب أو التجويع حد الانهيار.. هذه الأمور بأجمعها كفيلة بجعل المثقف يعيش حالة من التقوقع والارتداد إلى الذات أو التشكل الفكري بما يتلاءم مع الأنساق الخاصة بإحدى هاتين المؤسستين ليصبح في النهاية صوتا خاصا من أصواتها.. ان المناخ الحقيقي أو "الحاضنة" الحقيقية لنمو الأفكار نموا سليما، حرا، داخل عقل "المثقف" العراقي ما تزال معدومة بسبب استمرارية هيمنة المؤسستين المذكورتين، ولذلك سوف يبقى الموقف المستقل له بمثابة أمنية مستحيلة التحقق، ويبقى هو خارج دائرة الإدانة لان الأمر أصعب من ان يقاومه أو يتحداه بقدراته الذاتية).

بين المثقف والسياسي

* باقتران الاقتصادي بالسياسي، كما في الشرق، يرى القاص كاظم الحصيني ان "السياسة وقوة المال يجب ان تكونا مصحوبتين بقوة ديكتاتورية كي تهيمن على الثقافة وتقمعها بحيث يبقى المثقف يسير وراء السياسي مستغلا أية فرصة للتصفيق كما حدث في عهد النظام السابق في العراق".. أما المسالة فمختلفة تماما في الدول الديمقراطية حسبما يرى: "إذا كانت قوة رأس المال مصحوبة بالديمقراطية وتوفر أجواء الحرية كما هي في الأنظمة الرأسمالية الحالية فهنا يكون القمع داخليا، أي ضمن نظام عام يستغل الإنسان. وفي هذه الأجواء لا مانع من ظهور ثقافة كبرى ومؤثرة لان الثقافة هي ركن من أركان حركة المجتمع وظهورها هو ناتج هذه الحركة التي تحاول إزالة الاستغلال وتوفير الأجواء الصحية لحياة الإنسان. ونلاحظ الآن في أثناء الثورة التكنولوجية والعولمة ان الرأسمالية قد وعت عمق الهوة في نظامها ولذلك سعت لتوفير دولة الرفاه الاجتماعي. لكن هذا لا يعني ان الدولة قد أنهت الصراع الطبقي ولكنها منحت الإنسان مزيدا من الحرية لانجاز مهامه الفكرية والثقافية ويعود السبب الأول في ذلك لوجود الآلة الحديثة التي سببت وفرة الإنتاج ووفرة الوقت.. ففي حالة وجود قوة المال والديكتاتورية تتجوف الثقافة إعلاميا لكنها تتبلور سريا وتصبح للنخبة القليلة، أما في حالة النظام الرأسمالي المصحوب بالحرية والديمقراطية فالثقافة تدافع عن الإنسان ولا يمكن ان تتجوف لانها نتاج حركة مجتمع يصنع الجديد يوميا".

من هنا يمكننا، نحن المثقفين العراقيين، ان نطالب ما يسمى بـ "الحكومة" ان تبسط يدها عن المثقف والكاتب والفنان، وبسط اليد هذا ليس بانفلات هذه العلاقة وتركها على الغارب، بل ان تبني مؤسسات ثقافية تترك ادارتها والاشراف عليها للمثقف من دون أي تدخل.. وحبذا لو تساعدنا، الآن على اقل تقدير، بمطالبة الأحزاب الدينية بالابتعاد عن الثقافة لأنها بدأت بمسخها، كما مسخها النظام السابق.. إنها أمنية فقط!.